

( ٩ )

## وداعا تامر الغمراوي

الساعة الثانية ظهرا .. دقَّ جرسُ شقةِ بحي السفارات .. فتح الباب تامر الغمراوي .. كان وحده بالمكتب .. نظر فوجد أمامه وعد .. وقف للحظة يتأكد أنها هي .. كانت مختلفة تماما عما تكون عليه وهي تعمل .. كانت تلبس ثيابا جميلة كسيدة أعمال تسكن بأرقى المناطق وليست مجرد غجرية متسولة أو بائعة مناديل ، وقد جسدت الثياب جسدها تجسيدا مثيرا ، فبانَتْ كلُّ مفاتنه ، ووجهها المشيع بالحمرة يشع حيوية وأنوثة ، وعيناها الزرقاوان ظهرتَا أجمل بكثير ، وظهر صدرها تحت ملابسها مستديرا ملهبا للأنظار .

وبالطبع فهي لم تمارس عملها في التسول هذا اليوم ، إنما ركبت تاكسيا من سكنها بمنشية ناصر حتى إشارة العمل ، فسلمتُ الطفل ياسين لزميلتها نوال دون أن تنزل من التاكسي ، وهمستُ بجانب أذنها ألا يخبر أحدٌ منهم أحدا أنها متزوجة ، فقد خافتُ من أن يذهب تامر الغمراوي ليعرف إن كانت متزوجة أم لا .. قالت ذلك ثم استكملتُ حتى حي السفارات .

دخلتُ وأغلق تامر خلفها الباب ، وابتسمتُ له وابتسم لها وقال :

- ما هذا الجمال؟ .. أنا لا أصدق عيني أنك وعد

- هل جئتُ لنتحدث عن جمالي أم عن العمل يا أستاذ تامر؟

- نتحدث عما تريدِين أنتِ

- نظرتُ في عينيه وقالت بدلال :

- أريدك

لم يتمالك نفسه ، وحملها إلى إحدى الحجرات .. جلستُ بجانب السرير .. جلس بجوارها .. قال لها :

- ما أجملَ العملَ معكِ يا وعد!

قالت في جرأة وأنوثة :

- هذا فقط عربون العمل

ضحك تامر وقال بنبرة صوتٍ مرتعدٍ :

- أريد شيئاً قبل دفع العربون

- ما هو؟

- أن ترقصي لي

- أمرك .. سأريك الرقص على أصوله

- ما أجملكِ يا وعد!

وخلعتُ معظم ملابسها دون خجل أو تردد ، وتامر ينظر لها بنشوة ، ثم اتجه إلى كاسيت وأدار موسيقى راقصة ، فقامت ترقص بطريقة غاية في التميز والاحتراف والإثارة وهي تغني بصوتٍ جميلٍ :

أنا وعد .. وعد المحروس

أنا أجمل .. من إيما لادوس

أنا وعد .. وعد المحروس

أنا مَرهم .. أنعس متعوس

أنا أحلى .. من إيما لادوس

أنا وعد .. وعد المحروس

ومرّت ساعاتٌ في الحرام .. أعادا الكَرَّةَ أكثرَ من مرّةٍ .. كلُّ شيءٍ حدث بلا تردد ، بلا حد ، بلا تراجع ، بلا لحظة تأنيب للضمير ، وبلا أن ينتبه تامر إلى أنها ليست عذراء ، ولم ينتهِ الاثنان مِنْ سُكْرهما إلا مع أذان المغرب الذي أتى من مسجد مجاور .. دخل تامر الحمام سريعا ثم عاد ليجد وعد جالسة بجانب السرير عارية تتصنع البكاء وتواري وجهها بكفيها كأنها تشعر بالخجل والندم .. سألبها :

- لماذا تبكين؟

رفعتُ رأسها من بين كفيها وقالت :

- ألا تعرف؟ .. ألا ترى هذه الدماء التي ملأتُ مفرش السرير؟

نظر تامر ثم قال :

- لا تخافي يا وعد .. لن أتخلى عنكِ

- أنا مرعوبة من أن تتخلى عني

- اطمئني .. أنا لستُ ندلا

- لقد جعلتني امرأة يا تامر .. سلبتني شرفي .. أرجوك لا تتركني

فابتسم تامر ابتسامة حذرة وقال :

- كيف أتركك يا وعد؟ .. ثم هل نسيتِ أنه سيكون بيننا عمل كثير؟

فضحكتُ وقالت :

- لم أنسَ لكن لا بد أن تجد حلال لهذه المصيبة

- لا تقلقي سأجد حلا

- المرة القادمة سنتقابل خارج شقة المكتب الملعونة تلك .. وسنتحدث في

العمل فقط

فقال في تردد :

- طبعا طبعا

وبالفعل فقد تقابلا في المرة التالية بكافتيريا بشارع عباس العقاد .. تحدثا فيها عن العمل ، وقد أرادت في البداية أن تكسب ثقته وتثبت له أنها تمتلك المال الكثير ، فقالت له :

- هل لك خبرة بأنواع السيارات؟

- طبعا

- أريد شراء سيارة

أنزل تامر كوب الشاي من يده ، ونظر لها بابتسامة وقال :

- هذا أمرٌ بسيط .. أعرف معرضا فيه سيارات مستعملة حالتها جيدة ..

واطمئني سيخدمنا صاحبها في ثمنها كثيرا

ضحكتُ وعد ، ووضعتُ قدما على أخرى وقالت في ثقة :

- ومَنْ أخبركُ أنني أريدها مستعملة؟ .. أريد شراء سيارة جديدة من السيارات

الغالية .. لكن آخر الشهر من فوائد أموال وودائع لي .

فبرقتُ عينا تامر الغمراوي ذهولا وقال :

- من فوائد أموالك !! .. هل معك أموال فوائدها تشتري سيارة!!؟

- أجل

- إذن أنا من الغد سأترك عملي وأقف بجوارك في الإشارة

فضحكتُ وعد وقالت :

- لن تفلح يا تامر .. عملنا يتقنه العجرج فقط .. ويحتاج لتدريب ومواهب

معينة

- يمكنك أن تدريبي على كل شيء
  - سأدريك .. فقد تضطر فعلا للتسول ذات يوم
  - ربنا يستر
  - هيا يا تامر نتحدث في العمل
  - هيا .. فيم تريد أن تستثمرى أموالك؟
  - في العقارات .. وهل هناك أضمن منها يا تمورة؟
  - معك حق والله يا وعد
  - وسكت لفترة يفكر ، ثم قال لها :
  - ما رأيك أن نشترى شققا مشاركة بالنصف ثم نبيعها؟
  - أنا موافقة .. فهل يوجد شيء جاهز الآن؟
  - طبعا يوجد .. وسيكون جاهزا بعد أربعة أيام
- وبالطبع كان لا يوجد شيء جاهز ، إنما هذا هو نهج السماسرة ، فدائما لديهم عقارات جاهزة للبيع والشراء ، فإن طلب الزبون التنفيذ فقد يجد وقد لا يجد بأية حجة أو ذريعة ، وتامر الغمراوي هنا بالطبع قد قال ذلك لها على سبيل هذا النهج ، فربما يظهر شيء خلال الأيام الأربعة التي ذكرها ، وأيضا لم يكن لديه نية للنصب عليها ، على الأقل الآن ، فأوجدت هي ما تبحث عنه ، وليس مجرد شقة ، بل فيلا .
- فبعد هذا اليوم بيومين دخلت امرأة شقراء الشعر مكتب تامر الغمراوي ..
- وقفت لتحياتها ثم جلس وأمر عامله أن يحضر لها مشروبا .. قالت له :
- أنا دكتورة جاسيكا .. عندي فيلا جئتُ عرضها للبيع

سألها عن مكانها ومساحتها وأوراقها وأوصافها وعدد الأدوار والحجرات والحمامات بها ، ونوع التشطيب والتمن المطلوب فيها ، فأخبرته فسجّل ما ذكرته عنده ، ثم سألها إن كان هناك إمكانية لإنزال السعر قليلا فقالت له :

- الفيلا ثمنها أكثر من مليونين بكثير .. ولكي مستعجلة جدا .. أنا مهاجرة إلى كندا لأستقر مع زوجي هناك .. لذلك فأنا مضطرة أن أبيع بمليونين أو أقل قليلا وفهم تامر من كلامها أنّ السعر قابل للخفض كثيرا .. سألها عن تليفون لها ليتواصل معها من خلاله ، فأملته عشرة أرقام ، فنظر لها باستغراب وقال :

- ما هذا الرقم الغريب؟

فابتسمت وقالت :

- هذا رقم تليفوني المحمول .. خطك

فأسرع يقول بشغف :

- أجل لقد سمعتُ عنه من صديق لي ولم أصدق .. هل فعلا هذا حقيقي؟ ..

هل فعلا يوجد تليفون بلا سلك ويحمله الإنسان معه في الشارع؟

ووضعتُ المرأة يدها في حقيبتها وأخرجتُ تليفونها المحمول قائلة :

- هذا هو

فنظر تامر مذهولا وقال :

- سبحان الله .. وهل هذا غالي الثمن؟

- إلى حد ما

- هل يُباع في مصر؟

- نعم .. لكن من النادر جدا أن تراه مع أحد

- إن شاء الله أشتري واحدا



- طبعا طبعا
- ووقفت المرأة وقالت له
- أستاذك وسأنتظر منك مكالمه
- كانت المرأة الشقراء تتحدث بجديه جعلت تامر لا يفكر أبدا في المزاح أو الخروج خارج حدود العمل بكلمه أو ابتسامه ، وفي المساء اتصل بوعده ، وتحدثا طويلا وقبل أن يُنهي المكالمه سألته :
- هل وجدت شيئا مناسباً لشتره؟
- فأخبرها أن موضوع الشقه لم يتوقّر له بعد ، ثم أخبرها عن فيلا الدكتوراه جاسيكا فسألته :
- كم ثمنها؟
- هي تطلب مليونين .. لكن من الممكن تنزيل السعر
- إذن علينا أن نضغط عليها ونزّلها للمليون ونصف مناصفة بيبي وبينك
- فاندesh تامر الغمراوي وسألها :
- وهل معك سبعمانه وخمسون ألفا يا وعد؟
- نعم معي .. وأنا أسألك لماذا لم تخبرني عنها منذ بداية مكالمتنا؟ .. هل تريد أن تغدربي وتشرتها وحدك أيها الغدار؟
- لا والله .. بل لم أخبرك لأنني لم أتوقع أن يكون في قدرتك أن تدفعي نصف ثمنها
- بل في قدرتي ذلك وأكثر.. المهم هل تقدر أنت؟
- بصراحة هذه صفقه كبيره سنكسب منها الكثير وأنت شجعتني .. لذلك سأجمع كل أموالي ونشرتها مناصفة .. لكن أتمنى أن توافق المرأة على مليون ونصف



- المهم أن نذهب ونرى الفيلا أولاً .. فقد لا تستحق حتى المليون ونصف
- معكِ حق .. عليكِ أن تأتيني المكتب غدا .. ثم نذهب سويا لمعاينة الفيلا
- قالت ضاحكة :
- كما تريد .. ولكن عندما أتيك هل سيكون عملاً أم .....؟
- ربما الاثنان
- وذهبت له إلى مكتبه .. جلستُ وطلب لها مشروباً ثم فتح الصفحة التي سجّل فيها بيانات الفيلا ليتصل بصاحبها ، وإذا به ينتبه إلى أنّ رقمها شيئاً جديداً عليه ولا يعرف كيف يتصل بها ، فأخبروعد بذلك فقالت له بكل هدوء :
- يمكنك أن تتصل من تليفونك الأرضي .. لكن يجب أن يكون فيه خاصية المباشر
- للأسف هو محلي فقط
- فابتسمتُ له ثم وضعتُ يدها في حقيبتها وأخرجتها بتليفون محمول قائلة له -
- قل لي الرقم
- فبرقتُ عينا تامر وضرب جهته مندهشاً وقال :
- ما هذا؟ .. أنتِ أيضاً؟! .. أنا خائف أن أكون أنا الوحيد في مصر الذي لم أحمله .. أخبريني بسرعة .. من أين اشتريتِ هذا الشيء؟
- فعدت وعد وابتسمتُ قائلة :
- لا تقلق .. ستحمل أنتِ أيضاً هذا الشيء
- وأخرجتُ من حقيبتها تليفوناً محمولاً آخر ، وناولته له قائلة :
- خذ .. هيا انضم للأغنياء .. واعتبره هدية مني لك وبالخط أيضاً

وهنا وقف تامر الغمراوي والتقطه منها والفرحة تملكه ، ولسانه لا يتوقف عن شكرها ، وعلامات الذهول والدهشة تبدو في كل تصرفاته وكلماته .  
 واتصل بالدكتورة جاسيكا ، وذهبا وعائنا الفيلا فأعجبتهما كثيرا ، ووافقتْ  
 الدكتورة على مليون ونصف بعد تفاوضٍ طويلٍ ، لكن كان هناك أشخاصٌ آخرون  
 يعاينون الفيلا في نفس الوقت ، فقلق تامر كثيرا بسبب ذلك ، وخاف أن يسارعوا  
 ويشتروها قبلهما ، فترك عربونا كبيرا للدكتورة جاسيكا ، لكنها اشترطت عليه أن  
 يدفع البقية ويتمَّ البيع صباح الخميس كآخر مهلة ، وإلا ستبيع لغيرهما ، فوافق  
 على كل كلامها دون اعتراضٍ منه على شيء .

وكان اليوم صباح الأربعاء .. انشغل تامر خلال اليوم كله بتجهيز سبعمائة  
 وخمسين ألفا نصف ثمن الفيلا ، وكان قد اطمأنَّ من وعد إلى أن مبلغها جاهز ،  
 وصار من الحتمي أن يتمَّ دفع ثمن الفيلا وكتابة العقد والتوكيل صباح الخميس  
 كما اشترطتْ جاسيكا .

اتصلتْ وعد بشريكها تامر منتصف اليوم تخبره بأنها قلقة وتطلب منه أن  
 يذهب أولا قبل أن يدفعها بقية المبلغ صباحا فيطمئن على أوراق الفيلا بنفسه من  
 صاحبها ومن حي مدينة نصر ، وبالطبع لم يكن أمام تامر وقتٌ لذلك ، وكان قد  
 دفع مبلغا كبيرا كعربون ، وخاف إن طلب التأجيل ألا توافق صاحبة الفيلا ، وقد  
 تلجأ كما قالت لبيع الفيلا لآخرين .

وأراد تامر أن يُشعر شريكته وعد بالاطمئنان ، فأخبرها كاذبا أنه ذهب بالفعل  
 واطمأنَّ على كل شيء ، وعلمها ألا تقلق ، وما عليها إلا أن تثق به وتعتبره المسئول

عن أي شيء ، فأكدت عليه بنبرة جادة وكزرت كلامها وهي تخبره أنها لا تعرف غيره ولن تتركه إن ضاعت أموالها .

وفي صباح الخميس ذهبا معا إلى الفيلا ، ودفعا المبلغ للدكتورة جاسيكا مع كتابة عقد ابتدائي ، ثم همست وعد لتامر أنها ستركب مع جاسيكا في سيارتها حتى الشهر العقاري تجنبنا لاحتمال أية محاولة نصب من الدكتورة ، فضحك تامر هازنا من كلامها وقال :

- هي دكتورة يا وعد .. هل سمعتِ عن دكتورة تنصب؟ .. النصب يا حبيبي يخرج من أمثالي وأمثالك فقط

فقالته بلهجة تبدو غاضبة :

- قصدك أمثالك أنت يا تامر

- هل غضبت؟

- نعم غضبتُ

قال باسم في صوت هامسٍ حتى لا تسمع جاسيكا :

- لا تغضبي سأصالحك الليلة في شقة المكتب .. فقد اشتقتُ إليك كثيرا

وركبتُ وعد مع تامر في طريقهما للشهر العقاري ، ولم يتوقف تامر خلال الطريق عن أن يفتخر بنفسه لأنه أنجز صفقة العمر ، وعليها أن تشكره كثيرا وتحفظ له أن جعلها تريح مالا كثيرا في صفقة واحدة ، فألقت عليه وعد نظرة غريبة بطرف عينها ، وأخذت نفسها عميقا ثم قالت :

- ما رأيك ألا نبيع الفيلا يا تامر؟ .. نتركها ونكتبها باسمي واسمك ونعيش فيها

معا

ونظر لها تامر باستغرابٍ ، وقال كأنه يمزح :

- وماذا نفعل بها معا؟
- نعيش بها سويا بعد أن نتزوج
- إن شاء الله يا وعد .. إن شاء الله
- قالها سريعا كأنه يتهرب من الحديث في هذا الأمر ، فراحت تقول له :
- أنت وعدتني ألا تتخلى عني يا تامر .. أم نسيت أنك أفقدتني عذريتي؟
- قلتُ لن أتخلى عنكِ يا وعد
- إذن هل وافقتَ على أن نتزوج في الفيلا؟
- طبعاً طبعاً .. وسنتحدث أكثر في موضوع الزواج هذا بعد تسجيل الفيلا
- فاستدارتُ قليلا في مقعدها ليكون وجهها له وقالت :
- تامر عندي خبرلك .. لا أعرف إن كان سيفرحك أم يحزنك
- ما هو؟
- سكتتُ قليلا ثم قالت :
- أنا حامل
- وهنا ضغطت تامر على الفرامل فجأة وأخذ جانبا وتوقَّف قائلا :
- ماذا قلتِ؟
- أنا حامل منك
- كيف عرفتِ؟
- عندما غابت الدورة ذهبتُ للطبيب فأخبرني أنني حامل وأعطاني تقريرا

بذلك

وظلّ تامر صامتا في ذهول فقالت له :

- أظنُّ أنّ هذا سيجعلنا نتزوج سريعا

- طبعا طبعا

- أظنكَ عرفتَ سبب طليي الاحتفاظ بالفيلا لنا

قال تامر في نبرة هادئة :

- إن شاء الله بعد تخليص الأوراق سنتحدث

- أنا قلقة منك يا تامر

- لا تقلقي يا حبيبتي

وأدار تامر سيارته . ووعده تراقب بطرف عينيها ما طرأ على وجهه من تعبيرات التوتر الشديد . ولم يصدر بينهما أي كلام حتى وصلا للشهر العقاري ، فركن سيارته جانبا ، ودخل وبجواره وعد .. لم يجدا الدكتورة جاسيكا بالداخل .. اتصل بهاتفها المحمول فوجده مغلقا .. بحث عنها في كل مكان داخل حجرات الشهر العقاري فلم يجدها .. إنها لم تصل بعد .. ولن تصل أبدا .

وكانت وعد لا تزال تراقب تحركاته وحالته القلقة وهي في قمة متعتها وسعادتها .. تمنّت لو تطول تلك اللحظات كثيرا وهي تشاهده هكذا متوترا زائغ البصر والبصيرة .. بالطبع إنها لن تملّ أبدا من مشاهدة هذه النهاية الحزينة لقصة تامر الغمراوي معها .. وتمنّت أيضا لو كانت معها نهاد ابنة خالتها لتستمع هي أيضا بمشاهدة هذا الشاب النصاب المسكين الذي احتال عليها في عشرين ألفا ، فسلبته سبعمائة وخمسين ، هي كل ما يملك في الحياة .

أجلّ أجل .. فلتأتِ الآن نهاد وترى وجهه وهو يتحسرو ويهذي إلى درجة الاقتراب من الجنون ، حيث يبدو أنه خسركل شيء ، هذا غير الخزي والعار الذي قادته وعد إليه لكي يعيش معه بسبب حجج التهرب التي سيلجأ إليها تهربا منها ، ثم الهرب بعيدا بعيدا عنها ، والله إنها ليست أقل من شيطانة غجرية جاءت من جحيم لتُرسل ضحاياها إلى الجحيم .

اتصلتُ وعد بتامر مساء يومه المنحوس ، تسألته وهي تبكي عن أية أخبار عن جاسيكا .. أخبرها في صوتٍ مخنوقٍ أنه أسرع إلى الفيلا بعد أن تركها بالشهر العقاري ، فأخبره الحارس أنّ الدكتورة جاسيكا صاحبة الفيلا الحقيقية بكندا ، ولم تأتِ لمصر منذ عام ، فسألته عن المرأة الشقراء التي باعت لهما الفيلا ، فأجابه الحارس بأنها مجرد مستأجرة استأجرت الفيلا لأسبوعين ، لكنها لم تكملهما بسبب ضرورة سفرها المفاجيء .. سأله عن اسمها ، فأخبره أن اسمها كما أخبرته هو جاسيكا أيضا .. سأله عن كتب لها عقد إيجار الفيلا فأخبره أنه من أجر الفيلا لها دون عقد بعلم صاحبها جاسيكا الحقيقية ، وهذا أمرٌ يتبعه في غيابها طالما كانت مدة الإيجار قصيرة ، فذهب مسرعا وأبلغ رجال الشرطة وأعطاهم أوصاف جاسيكا الشقراء ، وصورة من بطاقتها الشخصية ، فأخبروه أنّ صورة البطاقة مزورة .

ورنّ صوتٌ صراخٍ وعد في التليفون وهي تخبر تامر بأنه المسئول الوحيد عن إرجاع أموالها لها ، فهي لا تعرف غيره ، وذكّرتّه بأنها طلبتُ منه وأكدتُ عليه أن يسأل ويطمئن على كل شيء خاص بالفيلا قبل الدفع ، فأخبرها كاذبا في خُرقة أنه سيعيد لها كلّ أموالها ، فعادتُ تصرخ فيه لتسألته هذه المرّة عما سيفعله معها بعد أن أفقدها عذريتها وجعلها حاملا ، فأجابه كاذبا أيضا أنه سيجد حلا لكل شيء .

وكان الحلُّ الوحيد الذي لم تترك له الشيطانة العجربة وعد سواه بعد أن خسركل شيء هو أن يسعى سريعا لبيع سيارته . ثم يجيِّز جواز سفره ، ثم يسترد ما دفعه كمُقَدَّم حين إيجار مكتبه للعقارات ، هذا دون أن يغلق هاتفه أبدا في وجهه وعد حتى لا تشكُّ في شيء ، ثم فجأة في غفلة منها كما يظنُّ مخدوعا ، عليه أن يتجه إلى مطار القاهرة حيث الطائرة التي ستطير به وبجرائمه الثلاثة في حق المسكينة .

كانت الجريمة الأولى أنه أفقدها عذريتها ، والحقيقة أنها هي من أفقدته عذريته ، فلم يكن صعبا لها حين غفلةٍ من تامر الثائر المنتشي أن تضع سائلا أحمر كالدم على مفرش سرير الحرام ، والجريمة الثانية أنه جعلها حاملا منه ، والحقيقة أنها أرادت ذلك الحمل منه أو من غيره طالما ظلَّ زوجها سالم عاجزا عن ذلك ، أو حتى ولو صار قادرا ، لا يهم ، والجريمة الثالثة أنه جعلها تخسر سبعمائة وخمسين ألفا من الجنميات ، والحقيقة أنه هو الذي خسركل ذلك .

فليركب الآن طائرة الهروب مع الحسرة والندم على اليوم الذي وقف فيه بإشارة تقاطع شارعي مصطفى النحاس والطيران بجانب المتسولة وعد ليعطيها رقم تليفونه .. ولينزل المنحوس من طائرته بأي بلد غير بلده التي ولد ونشأ بها ، بلد لا يسمع فيها صوت وعد أو يراها ، وهناك يعيش بقية حياته هاربا إن استطاع أن يُكْمِلها هكذا بحسرتة .. فودعا تامر الغمراوي .